

صفحة من تاريخ الاستكشاف:

فيتوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

نية المنشور في العدد الماضي

—>>><<<—

الرمز الثانية والاربعون:

أمدت كثيرنا بيرنج بستائة من الرجال بينهم لفيف من العلماء الأكفاء ذوى التخصص ، وبمجمول تسع مركبات ضخمة من الأجهزة العلمية الهامة ، بينها بعض المناظير الكبيرة التى يبلغ طول واحدتها خمس عشرة قدما . وصحت نية بيرنج على ابتناء ثلاث سفن إحداها لكشف اليابان ، والأخريان للبحث عن أمريكا . وقد تكررت فى الرحلة الثانية متاعب السفر الأول ومشقاته ، وإن كانت بيرنج قد حاول تخفيف ذلك بإنشاء مصهر للحديد فى ياكوتسك يستعين به على تجهيز سفنه وتيسير إعدادها .

وانطوت ثلاثة أعوام قبل أن تبحر السفينتان الأوليان ، وكانت مخازن الذخيرة ومراكز التموين قد أنشئت على امتداد الطريق البرية . وفى عام ١٧٣٦ م تناهت الأنباء بأن الجليد قد حصر إحدى الفرق المتقدمة ، وأن أفرادها يهلكون جوعاً وبرداً . وبادر بيرنج بإرسال النجذات الممكنة ، ولكن لم يُتبع له أن ينقذ من أفراد الفرقة البالغ عددهم ستين رجلاً أكثر من ثمانية ..

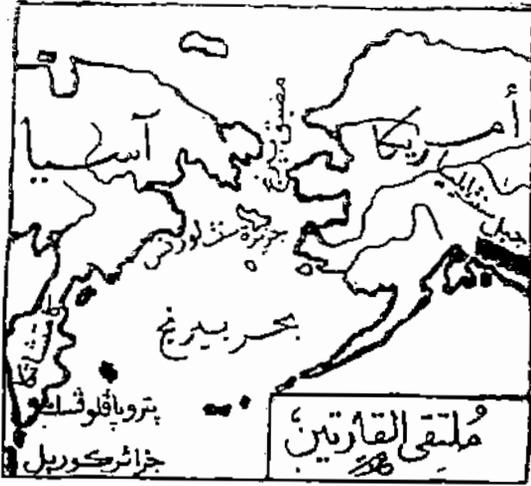
وبالرغم من هذه العوائق الموقفة تمكن سباجبرج — وكان قد عهد إليه أمر البحث عن اليابان — من استكشاف جزائر كوريل وتصوير سواحلها . وكان بهذا قد بلغ اليابان حقيقة ، ولكنه لم يجد — وبالأسف — من يصدق منه هذه الدعوى !

وشحنت الأقوات لدى البحث حتى لم يجد بيرنج بدأ من استجلاب المزيد منها من بطرسبرج على مسافة ألف ميل عبر اليابسة ذهاباً ومثلها إياباً ، بضاف إلى ذلك عبور بحر كامتشاتكا إلى حيث تقوم السفن بعملياتها الاستكشافية .

وأنشأ بيرنج سفينتين أخريين ليقودهما بنفسه بحثاً عن أمريكا

ثم انطلق بهما عبر المحيط يناضل نضاله الأخير . وكان ذلك فى شهر يونية من عام ١٧٤١ ، أى بعد انطواء أكثر من سبعة أعوام على خروجه الثانى من بطرسبرج .

وقد خلد بيرنج ذكر سفينتيه سنت بيتر وسنت بول حين صاغ من اسميهما علماً للمدينة الجديدة التى أنشأها فى كامتشاتكا ودعاها **پتروپافلوفسك** Petropavlovsk .



وكانت سنت بيتر تقل سبعين رجلاً على رأسهم بيرنج ، وفيهم

العلامة الطبيعى المشهور جورج وليم ستيلار G.W. Stellar

وحملت السفينة الثانية ستة وسبعين رجلاً . ثم انطلقت السفينتان صوب الشمال فيما يعرف اليوم باسم بحر بيرنج ، وكان شاطئ آسيا الشرقى إلى مسيرة القوم وإن لم يكن منهم عمراًى . وانقضت ثمانية أيام استدار بعدها بيرنج نحو الشرق ، وسرعان ما هبت قواصف المحيط فى عنف ففرقت ما بين السفينتين . ومضت سنت بول فى تيه فسيح من البحر الخضم ؛ فاضطر بيرنج كي لا يفقدها أن يتحرك فى دائرة منداحة طيلة شهر كامل . ولكن لم يقدر له مع ذلك أن يلتقى بها مرة أخرى ... لقد فقدتها إلى الأبد .

على أن بيرنج رأى عرضاً هدفه المقصود — أمريكا — حين كان يجد فى البحث عن سنت بول ، وكان ذلك فى التاسع عشر من يولية سنة ١٧٤١ ؛ وبهذا تحقق الحلم الذى كان يتراءى له ويضنيه تحقيقه مدة ستة عشر عاماً .

وكان أول ما بدا له من أرض القارة الجديدة جبل شامخ البناء رفيع السمك أسماه (سنت إيليا) ... إذ كان بيرنج رجلاً تقياً متديناً كأكثر أولئك المناشرين البواسل من أبطال التاريخ .

مفاتيح جغرافية :

أبدانهم قد نخلت وضوت من سوء التغذية فقشا بينهم داء (الأسكربوط) . وأنفقوا أياماً طويلة في أحضان المحيط وهم يتخبطون بين منهال الجليد ومنهل المطر ، في حين كان الثلج الناقط من أمراس السفينة يرض أجسامهم ويكاد يفضخ منهم الرؤوس . وازدادت الأظعمة شحاً في مقدارها وقلة في غنائها حتى نهكت القوم الأدوية ، وعلّ الموت فيهم ونهيل .

وقد شلت ساق النوتي القائم على سكان السفينة ، وبدأ أكثر البحارة يمجزون عن الاضطلاع بأعباء عملهم يوماً بعد يوم . وكان من سخريه القدر أن يعجز الرجل الذي استكشف قارة بأكلها عن أن يجد ذراعاً من الأرض يريح فوقها أجساد رجاله المتهاكين ...

وكان بيرنج شديد المنه قوي الاحتمال ، ولكن مساً من داء (الأسكربوط) أطاف به كصحة فتركة غليلاً لا يقدر على شيء . وثارت بالسفينة عواصف هوج كادت تحطمها على نواتج بعض الصخور ، حظاً ، ثم دفعت بها نحو مجموعة من الرضام (١) حتى استقرت دون كبير أذى في أحضان بحيرة ضحلة من الجزيرة المعروفة اليوم باسم جزيرة بيرنج . وكان مجرد بروز القوم من غرفهم الخائقة الهواء كافياً لإزهاق أرواحهم على ظهر السفينة بتأثير البرودة القاسية . وقد اشتدت وطأة العلة على بيرنج فأضجموه مدثراً في فرائه ، ثم احتملوه إلى قرموص (٢) أعدوه له على الشاطئ وهياًوا له منه شبه بيت مسقوف . ولاذ ستائر البحارة بمواضع أخرى من الرمل احتفروها لأنفسهم . وهكذا نجأ أكثرهم من الهلاك ثم عادوا بعد عام إلى أوطانهم على ظهر سفينة جديدة اصطنموها من أفاض « سنت بير » — أما بيرنج فقد كان يحث الخطى نحو مصيره المحتوم ... كان يموت ! ولم يقدر له ، فوق هذا ، أن يودع حياته في جو من الهدوء والسلام إذ كانت قطمان من الثعالب القطبية تغير على المسكر ، وتنفص على القوم عيشهم بما تسليهم من رمام موتاهم وطعام أحيائهم .

ورقد بيرنج مطموراً نصف جسده في الرمل ؛ وكان يزعم أن هذا مما يخفف وطأة البرد عنه . والحق أن رجاله قاموا بأكثر

(١) الرضام صخور عظام أمثال الجزير (الواحدة رضمة — عن الثعالي

(٢) الأمل في القرموص حفرة واسعة الجوف شبيقة الرأس يستدفئ

فيها الصرد من البرد — التجد

لزم بيرنج ساحل القارة الجديدة ستة أسابيع على أمل أن يلتق بالسفينة المفقودة ؛ وكان بمجولته هذه قد عبر المضيق المعروف باسمه ورأى رأى العين كيف تنتهي آسيا وتبدأ أمريكا . ويبلغ عرض هذا المضيق في أضيق أجزاءه ستة وثلاثين ميلاً وهو مرصع الصفحة بعدد من الجزائر يقوم سكانها منذ كانوا عممة الربط بين القارتين عن طريق التجارة وتبادل السلع .

والحق أن بيرنج كان قد بلغ موضعاً من الأرض ينطق بأورع ما تتكشف عنه غرائب الطبيعة ... فثمة تبدو مظاهر الانحسار الهائل في اليابسة بكيفية نشأ عنها انهيار تلك القنطرة التي كانت تصل في يوم ما بين العالمين القديم والجديد ؛ وثمة كان يمتد الطريق التاريخي الذي اجتازته طوائف البشر والحيوان قديماً منتقلة من آسيا إلى أمريكا ، وهو الطريق الذي يعلل وجوده نشوء الأسد The Puma والفهد The Jaguar الأمريكيين كسليين لجديهما المهاجرين من العالم القديم ، والذي مكّن كذلك للجمال الآسيوي القديم من أن ينشئ حفده على سفوح جبال أمريكا باسم ... اللاما The Llama .

ويقول المارفون من علماء الجغرافيا إن جو هذه المناطق كان استوائياً شديد الحرارة في الزمن القديم ؛ وهم قد وجدوا تأكيداً لسعواهم — في أكثر الجزائر التي أرسى عليها بيرنج — عظاماً مخرة وبقايا هياكل مطمورة لحيوان الماموث والكركدن والحريث والتمر والوعل وغيرها من تلك الأحياء التي لا تألف اليوم إلا أشد الأقاليم حرارة ...

وكان من غريب ما جرى لبيرنج أن انقطعت أخبار الرواد الأوائل العشرة الذين أرسلهم ليستطلعوا طابع العالم الجديد ، وكذلك كان مصير الأربعة الآخرين الذي تعقبهم باحثين عنهم !

هانتر بيرنج :

زحف الشتاء بخيله ورجله فلم يجد بيرنج بداً من أن يهرع إلى الجنوب الغربي ناجياً بنفسه من ويلاته . وهبت قواصف المحيط في شدة وعنف ولجّت في العيث بالسفينة حتى أضلتها الطريق سبعة عشر يوماً . وقد دم هذا الزمهرير القوم ودم بين سماء وماء يتلمسون عبثاً طريقهم إلى ساحل كامتشاتكا ؛ وكانت

الخرائط التي تركها الرحالة الذاهب ، فتبين له مبلغ دقتها ، وأماتته في تحطيطها . وهكذا انتضح للعالم أجمع عظم المهمة التي اضطلع بها هذا المستكشف الدنمركي الجريء الذي لم يقاقل بغير السخرية والتكذيب من رجال عصره الجامحين خلف جدران بيوتهم لا يملون ولا يدعون لغيرهم أن يعمل . وقد أقيم لبرنج نصب تذكارى رائع في مدينة « بترويافلوفسك » التي يرجع إليه فضل إنشائها ، على أن ذكرها الحقبة إنما تخلدت في الجزيرة والمضيق والبحر اللأئي سُمين باسمه جيماً .

ولم يكد ينقضى جيل على وفاة برنج حتى نهضت أعظم تجارة للفراء عبر المياه التي دُلل للعالم سيلها ومهد مسالكها . واكتسى ملوك أوربا وملسكتها وسائر أهل النبالة والثراء فيها من هذه الفراء الغوالي التي ترد عن طريق بحار موحشة مقرورة جاد فيتوس برنج بحياته ، غير ضنين ، في سبيل أن يقرب قواصيا ويملك الناس نواصيا ..

محمود عزت عرف

(توم)

عما في طوقهم لإشاذه وتخفيف أله ؛ وكان الطعام الطازج موفوراً لسيهم بما يصطادونه من حيتان البحر وبقره وكلابه وسائر أصناف سمكه ، ولكن الرجل كان خالفاً لا يتشهى الطعام ، ثم أصيب من الوهن بما عجز معه عن ازدراد لقيمة تميم أوده ! وكان لا ينفك يهيل على بذه كثنائاً من الرمل ويزداد غوصاً في أعماق حفرته كل يوم ، كأنما هو يقبر نفسه حياً . وفي صبيحة يوم مقرور ألفاه صحبه غائماً في الرمل إلى ذقنه وقد أسلم الأنفاس . وهكذا مات برنج الرحالة المجاهد ... ولكن بعد أن أنجز مهمته الخطيرة وشهد انتصاره ببني رأسه .

برنج بعد موته :

كانت حوادث هذه الرحلة من الغرابة بحيث استحال على الكثيرين تصديقها ... حتى جاء الرحالة الإنجليزي المشهور « كابتن جيمس كوك ^(١) » فأزال قناع الريبة فيها عن وجه اليقين . وقد جاس في رحلته خلال مضيق برنج ، وفحص

(١) ولد كوك عام ١٧٢٨ ، وتوفي في ١٤ فبراير سنة ١٧٧٩ م

لسلي والعبيط

و:حجى

هي قصة اليوم

قصة النفس الحائرة

قصة الأديب الشق السعيد

قصة الحياة كما هي

قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر في ٢٧٢ صفحة

ثمها ٢٥ قرشاً - تولى نشرها المؤلف

تطلب من : مكتبة المعارف ، والنهضة ، والانجلو ، والأهلية ،

والتجارية ، وغيرها .

للمؤلف : الياص عكاوى ١٧ شارع فؤاد الأول القاهرة

تليفون ٤٣٩٠٩

إدارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس الزقازيق البلدى في
النافسة العامة توريد ٦٥٠ أردبا من
الشعير و ٣٠٠ حلا من اللبن الأبيض
وقد تمحدد ظهر يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٤٥
لفتح العطاءات بديوان البلدية ويجب أن
ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٠.٢٪
من قيمتها . ٣٤٩٥